ملامح التفكير التداولي في اللسانيات الحديثة

سلاف بوحراثي❖المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار❖ قسنطينة ❖ الجزائر

ملخص

التداولية نظرية جديدة في الدراسات اللسانية الحديثة، ظهرت على يد الانجليزي أوستين وطورها تلميذه سيرل، وقد تبنى الباحثون بعده التداولية بالدراسة والتحليل.

يهدف هذا المقال إلى دراسة أهم ملامح التفكير التداولي بالتركيز على الأفعال الكلامية، والسياق (اللغوي والمقامي)، والمقاصد التبليغية. كما يهدف إلى دراسة أغراض الاستفهام التدوالية في ديوان"دخان اليأس" لمبارك جلواح.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الدراسات اللسانية الحديثة ، الأفعال الكلامية ، المقاصد التبليغية، ديوان دخان اليأس.

Abstract

Pragmatics is a new theory of modern linguistics studies, developed by the English scholar Austin and developed by his disciple Searl. The Pragmatics theory has been widely adopted by postmodern linguistics researchers. This article aims to study the most important features of deliberative thinking by focusing on verbs, context (linguistic and grammatical), and informational purposes.

It also aims to study the pragmatic objectives of questions in Mubarak Djalluh's poetry collection Dukhan El Ya'ss (Smoke of Despair)

Keywords, *Pragmatics, new theory of modern linguistics, focusing on verbs, informational purposes.*

تمهيد:

تشهد الساحة الفكرية المعاصرة تغيرات وتحولات مختلفة في مجال علم اللسانيات الحديث الذي يتجه نحو الانفتاح على مجالات معرفية مختلفة؛ مثل: علم النفس، والفلسفة، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والثقافة... فكان الاعتناء باللغة المنطوقة والمكتوبة لأن في استعمالها تتجلى تلك الخصائص والمميزات حسب حال مستعملها وأهدافه، والمتلقي وما يتقاسمه الاثنان من آفاق مشتركة والتي لها آثارها المرجوة، فظهر في اللسانيات مجال جديد يعني بكل ذلك سمي بالتداولية[1] التي انبثقت عن تيار الفلسفة التحليلية نوهي تركز على دراسة اللغة في الاستعمال مما يسهل عملية التواصل بين أفراد الجماعة تواصلا صحيحا مبنيا على عمليتي الإنتاج والفهم ودور السياق أو المقام في التواصل البشري، وتميز هذا الاتجاه بعنايته بالمتكلم والسامع والعلاقة بينهما، وما يرافق العملية الكلامية من حركات الجسد وتعبيرات الوجه، وكل من يشارك في الاتصال اللغوي، وظروف الحدث المكانية والزمنية، ومحاولة كشف مقاصد المتكلم، وما يستلزمه التواصل من معان لا تستطيع النظريات الشكلية الكشف عنها أو تحليلها أو تفسيرها.

ونلاحظ أن التداولية بمفاهيمها المعاصرة وعلى الرغم من أنها نظرية لسانية حديثة إلا أنها حاضرة في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة أو مشابهة لها، ويعود الفضل في ذلك لعلمائنا القدامى الذين ساهموا في وصف التراكيب ورصد خصائصها وتفسيرها، سواء تعلق الأمر بالبلاغة العربية أو بالنحو وعلم الأصول... فقد بذل علماؤنا جهودا جبارة، أمثال: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الجاحظ، الجرجاني، سيبويه، أبو هلال العسكري، ابن خلدون وغيرهم كثير.

[1]- نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة، ط1، العلمة، الجزائر، 2009، ص07.

أولا: التداولية في الدرس اللساني الحديث:

1- مفهوم التداولية:

أ) **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: "ودواليك من تداولوا الأمر بينهم، يأخذ هذا دولة، وهذا دولة، وقولهم دواليك أي تداول بعد تداول"[2].

وورد في معجم مقاييس اللغة: "دول: الدال والواو واللام، أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة: أنذال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، الدولة والدولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب: لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"[3].

والدولة: انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور، وقيل بالضم انتقال النعمة من قوم إلى قوم، وبالفتح الاستيلاء والغلبة، وقد أداله إدالة، ومنه قول الحجاج: "إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها" قيل: معناه ستأكل منا كما أكلناها.

وتداولوه: أخذوه بالدول، وتداولته الأيدي: أخذته هذه المرة وهذه المرة، وقوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس" آل عمران [الآية:140][4]، فوردت في هذه المعاجم بمعنى الانتقال والتغير من حال إلى حال.

ب) اصطلاحا: إن التداولية أو البراغماتية (Pragmatique) توجه معرفي يعني بخصائص استعمال اللغة والدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية[5]لتتحول مع "ج.ل

---

[2] - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر للنشر والتوزيع، د.ط،ج5، بيروت،لبنان، ص 328.

[3] - ابن فارس (أبو الحسن أحمد): مقاييس اللغة، منشورات علي بيوض، دار الكتب العلمية،ط1،ج1، بيروت،لبنان، 1420هـ، 1999م، ص 426.

[4] - الزبيدي (مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ج14،بيروت، لبنان، 1414هـ، 1994م، ص 245.

[5] - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع جدار للكتاب العالمي، 1430هـ، 2009م، ص 16.

أوستين" (J.L. Austin) إلى دراسة أفعال اللغة، ثم توسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط التحليل الحواري.

ونجد مصطلحا آخر هو "الذرائعية (Pragmatismes) وهي نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة ما من حيث هي معيار لصدقها، وهذا ما يتيح لنا ترجمة مصطلح البراغماتية بالذرائعية لأنها مدرسة فلسفية معروفة.

وهناك من يستعمل مصطلح التداولية للدلالة على البراغماتية وهي تعنى "البراكسيس" وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل، وتهتم بالجانب التواصلي للغة[6]. وقد تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي "pragmatique" فقيل: البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية[7]، لكن في الواقع بين هذه المصطلحات توجد فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة.

ويعود أقدم تعريف للسانيات التداولية لشارل موريس (CH. Mauris) سنة 1938 إذ يعتبرها جزءا من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها، وهي تعريف يتجاوز به مفهوم العلامة اللسانية إلى العلامة غير اللسانية وهو بذلك يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي الذي يهتم بالمجال الحيواني والآلي.

ويعرفها "آن ماري دييرA.M.Diller)) و "وفرانسواز ريكاناتي" (Françoise Riccanati) بقولهما: "التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها"[8]فالدلالة تتلخص في دراسة اللغة في الاستعمال وهنا تتجلى الوظيفة التواصلية كوظيفة أساسية للغة، وفي هذا السياق يعرفها "فرانسيس جاك" (F.Jack) بقوله: "تتطرق التداولية إلى اللغة الخطابية والتواصلية والاجتماعية معا"[9] لأن اللغة استعمال بين شخصين على الأقل، وفيها تتجلى الأفكار التي دعا إليها دي سوسير من

[6] - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

[7] - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، العلمة، الجزائر، 2009م، ص 65.

[8] - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

[9] - نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 162.

قبل على اعتبار أن اللغة نظام يتواصل به بين أفراد المجتمع وهو ما أكد عليه" ابن جني" في تراثنا العربي عندما قال بأن حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

وتعنى التداولية في الدراسات اللسانية بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق، وتشمل هذه المعطيات:

- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة.

والتداولية فرع من علم اللغة الحديث يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلمSpeaker intentions،وهو دراسة معنى المتكلم Speaker meaning فقول القائل: أنا عطشان، مثلا قد يعني أحضر لي كوبا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبار بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر ما تقوله كلماته[10]، ويظهر لنا تعريف آخر "فرانسيس جاك" (Francis Jacques) إذ يقول: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية، تواصلية واجتماعية معا"[11].

ومن كل هذا نجد أن أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى كل هذه المفاهيم هو: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل "[12]، لأنه يركز على ارتباط المتكلم بالسامع وبالسياق.

ودراسة اللغة في الاستعمال جعل التداولية تستند إلى علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي، ومعالجة قيود صلاحية المنطوقات (أفعال اللغة) وقواعدها بالنسبة للسياق، ويتلخص ذلك في دراسة العلاقة بين المخاطب والمخاطب فموضوعها إذن هو التواصل البشري لهذا عرفها صلاح فضل بأنها ذلك: "الفرع العلمي المتكون من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[13].

---

[10]- محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، د.ط، الإسكندرية ،مصر، 2005م، ص.ص 12-13.

[11]- فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، دط، دت، ص.ص 9-10.

[12] - محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

[13]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 162.

فالتداولية هي جزء لا يتجزأ من اللسانيات تهتم بدراسة وتحليل عمليات الكلام والوظائف الناتجة عنها والتي تؤول في مجملها إلى الوظيفة التواصلية للغة فنحتاج إلى المرسل والمرسل إليه والعلاقات الناتجة من التأثير والتأثر بينهما حسب مقصد الكلام، وهذا ما يجعل التداولية علما واسعا يجمع بين علوم مختلفة؛ فهي ليست علما لسانيا صرفا، بل تستند إلى اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والبلاغة والنحو، فهي لا تتوقف عند بنية اللغة (صوت، صرف، تركيب، دلالة) بل تنطلق من النقطة التي تتوقف عندها اللسانيات وذلك بربط بنية اللغة بالسياق التواصلي.

2- نشأة التداولية وتطورها:

التداولية علم جديد بأفكار قديمة الوجود وتعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي "Pragmatique" إلى الكلمة اللاتينية "Pragmaticus" والتي يعود استعمالها إلى عام 1440م ومبناها على الجذر "Pragma"، ثم صارت الكلمة بفعل اللاحقة "Ticus" تطلق على كل ماله نسبة إلى الفعل أو التحقق العملي، أما في الفرنسية فقبل أن تدخل إلى مجال الدراسات الفلسفية والأدبية فإنها استعملت في المجال القانوني، وتحديدا في عبارة pragmtique sanction وتعني المرسوم أو المنشور أو نحوه الذي يهدف إلى تسوية قضية هامة، باقتراح الحلول العملية والنهائية في الوقت نفسه، ثم كان توظيفها في مجال العلوم البحتة لتدل على كل بحث أو اكتشاف له صفة إمكانية التطبيق العملي، وفي وقت متأخر تسللت الكلمة إلى اللغة المستعملة في عبارات من مثل: هذا تفكير عملي، أو هو شخص عملي، للدلالة على أن شخصا ما ميال إلى إيجاد الحلول العملية والواقعية، لما قد يطرح من إشكاليات[14].

وتبقى جذور التداولية الأولى في مشروع "شارل بيرس" (Charl Birss) وفلاسفة اللغة، فقد ألقى جون أوستين (J.Austine) محاضراته عل طلبته في جامعة هارفرد في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، كما اقترن ذكر التداولية -أيضا- باسم "وليام جيمس" (W.Djimse) ، وكانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا التي تقوم على ثلاثة مكونات هي[15]:

[14] - نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009م، ص 18.

[15] - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 164.

1) **علم التركيب syntactiques:** وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
2) **علم الدلالة Sémantiques:** يهتم بدراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها.
3) **التداولية**: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

تعمل هذه المكونات بشكل متكامل فلا يقوم التركيب إلا بتحديد العلاقات النحوية بين الدوال التي تربطها علاقات دلالية تهتم بالمعنى يحكمها الجانب البراغماتي للغة، والذي يحدد الشروط المناسبة التي تجعل الدال علامة بالنسبة للمتكلم وتصبح اللغة القائمة على أساس البنية التي تسيرها القواعد التركيبية والدلالية والتداولية.

وبوجه عام فإن الفلسفة عبر تياراتها المختلفة اتخذت من اللغة موضوعا لها لذا يقول "فيجنشتين": "إن المعنى الذي يقصده أي فرد منا بأية كلمة، لا ينكشف لنا إلا من خلال الأشياء التي يطبق عليها أو لا يطبق، تلك الكلمة، أعني من خلال المواقف التي تستخدم في سياقاتها تكتيك ذلك اللفظ، فالمرء حين يفكر فيما يقوله فإنه لا يفعل شيئا أكثر من كونه يعني ما يقوله"[16].

ويمكن أن نشير إلى برنامج "هانسون" (Hanssone) 1974: الذي يمثل إسهاما لا ينكر في تطوير الدرس التداولي، وهو أول من حاول التوحيد النسقي لها بتمييزه لثلاث درجات منها هي:

أ) **تداولية الدرجة الأولى:** هي دراسة للرموز تراعي المخاطبين ومحددات الفضاء والزمن، ويندرج ضمنها ما قدمه "بول كوشي" ومعالجة الرموز الإشارة عند "بارهيل" والمحاولة الاختزالية لـ "رسل" (Rusel).

ب) **تداولية الدرجة الثانية**: المعنى الحرفي والمعنى المتواصل، وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات المهمة، ويضم هذا النوع من التداولية: التضمين والاقتضاء والمعنى الحرفي والمعنى السياقي من وجهة نظر سيرل، والمعنى الحرفي والمعنى الموضوعي حسب "ديكرو" (Ducrot).

[16] - نعمان بوقرة: المرجع نفسه، ص 181.

ت) **تداولية الدرجة الثالثة**: هي نظرية أفعال اللغة.

وتبقى نشأة التداولية في ظل كل الإسهامات المعرفية اللسانية والفلسفية جعلتها تتميز بالتنوع والثراء، ولم تكن لتستقر إلا في السبعينات من القرن العشرين بعد الأعمال التي قدمها الفيلسوف الانجليزي "أوستين" (Austin) الذي رسخها في كتابه "كيف نصنع الأشياء بالكلمات" بالإضافة إلى أعمال "ج.سيرل" و "جرايس" وغيرهم كثير.

3- أهم المفاهيم التداولية:

ترتكز التداولية على مجموعة من المفاهيم التي لخصت مبادئها وأفكارها التي جاءت بها ومن أهمها ما يلي:

1) نظرية أفعال الكلام:

استمرت الأفكار الفلسفية لكامبريدج في تحليلاتهم للمشكلات الفلسفية إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، لينتقل بعدها مركز التحليل إلى أكسفورد مع "جلبرت رايل" (Rail.ل) وجان أوستين (Austin) و "بيتر ستراسون" (Straoson)، ويأتي الحديث عن أوستين (Astin) بالذات لأنه قام بتأثير من "فجنشتين" (L. Wittgenstein) بالرد على فلاسفة الوضعية في محاضراته التي ألاقاها في أكسفورد ما بين سنتي (1952-1954)، ومحاضرات أخرى في هارفرد سنة 1955م والتي جمعها "إرمسون" (Ermsson) سنة 1960 وعنونها بـ: ماذا نصنع بالكلمات ؟ (How to do things with word ?) حين رفض "أوستين" أن تكون اللغة مجرد وصف للوقائع الخارجية ويحكم على مقولاتها بالصدق أو الكذب بالنظر إلى المطابقة أو عدمها، فاللغة عنده شيء متصل اتصالا وثيقا بالطبيعة البشرية في جانبيها الرئيسيين: القوة الإبداعية والقدرة العقلية.

- **مفهوم الفعل الكلامي:**

صار مفهوم الفعل الكلامي شائعا من خلال عمل الفيلسوف الانجليزي جون ل أوستين وبخاصة في كتابه "كيف تعمل(تنجز) الأشياء بالكلمات(1962)"[17]،ليؤكد أن

[17] - يورج مايبارو: مدخل إلى البراجماتية، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، جمهورية مصر العربية،2014، ص156.

اللغة لا تستعمل فقط لتمثيل العالم، ولكن تستعمل بالمقابل في انجاز أفعال أي أن مستعمل اللغة لا ينتج كلمات دالة على المعنى فحسب بل يقوم بفعل ويمارس تأثيرا .

وبذلك تصبح اللغة "أداة لبناء العالم و التأثير فيه،وعليه فموضوع البحث يتمحور بالأساس حول ما نفعله بالتعابير التي ينطق بها (أفعال الكلام) ".[18]

ولم يظهر تأثير نظرية الفعل الكلامي ل"أوستين" إلا من خلال نظرية الفعل الكلامي "لجون ر. سيرل" والتي أثبتها في كتابه: "أفعال الكلام" ومن المؤكد أن هذا التأثير يرتبط بالوحدة الأساسية للاتصال اللغوي وبشكل أدق يمثل"إنتاج أو توليد علامة جملية فعلا كلاميا، وتعد الأفعال الكلامية الوحدات الأساسية أو الصغرى للاتصال اللغوي."[19]

فالفعل الكلامي مفهوما محوريا للتداولية اللغوية حيث تحدد الأفعال بالنسبة لموقف التواصل.

ولقد ميز"أوستين" بين نوعين من الأفعال في نظريته حول الأفعال الكلامية:

1. أفعال إخبارية تقريرية وصفية، ويمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب.
2. أفعال أدائية إنجازيه" تتميز باقتران الانجاز بالتلفظ[20].

والفعل الانجازي هو"أصغر وحدة كلامية ذات قدرة التزام انجازية في السياق ...أو أصغر وحدة كلامية ملزمة بصورة ممكنة انجازيا "[21]، ويعني هذا أنه وحدة الكلام التي تؤدي بالنسبة لسامعها و لمتكلمها إلى التزامات معينة .

فإذا كانت الجمل الوصفية (الإخبارية) تخضع إلى معيار الصدق أو الكذب فإن الجمل الانجازية تخضع إلى معيار النجاح أو الفشل، فتكون ناجحة إذا كانت موافقة لشروط انجازها، وفاشلة إذا غابت تلك الشروط، وهي شروط مقاميه بالدرجة الأولى.

---

[18] - العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات لاختلاف، الجزائر، ومطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1432هـ،2011، ص77.

[19]- يورج مايبارو: مدخل إلى البراجماتية، ص160.

[20] - نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 186.

[21] - بيت لويس مولر: الفعل الكلامي معنى للجملة حول الصيغة الأساسية البراجماتية للغة الطبيعية، تر:سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، جمهورية مصر العربية،2014، ص 51.

وبذلك فكل منطوق "ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ،ويعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض انجازية (كالطلب،والأمر،والوعد...)وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض، والقبول)"[22].

ولضبط معيار نجاح أو فشل الجمل الانجازية، صاغ "أوستين" و"سيرل" جملة من المعايير يمكن تصنيفها إلى صنفين هما: معايير مقاميه ومعايير مقاليه[23].

ويتكون الفعل الكلامي حسب أوستين من ثلاثة أفعال هي:

أ) الفعل اللفظي (النطقي) (Acte locutoire): ويتجلى في انتظام الأصوات المنطوقة في السلسلة الكلامية وفق تراكيب نحوية تحقق المعنى الذي يحيل إلى مرجع معلوم.

ب) الفعل الانجازي (Acte illocutoire): وهو الفعل المتضمن في القول أي يمثله المعنى الإضافي الذي ينطوي خلف المعنى الأصلي أو الحرفي، وهو صلب العملية التواصلية.

ج) الفعل التأثيري (Acte perlocutoire): وهو الفعل الناتج عن القول ويتمثل في الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي سواء كان سلوكيا ظاهرا أو لغويا[24].

وقد وضح "جيوفري ليتش" الفعل الكلامي الذي ميزه "أوستين" بثلاثة أنواع من أفعال الكلام هي:

- انجاز فعل الكلام (تأدية الفعل بأن تقول شيئا ما)
- قوة فعل الكلام (انجاز فعل في حال قوة شيء ما)
- لازم فعل الكلام (تأدية الفعل بواسطة قول شيء ما)[25].

كما يقسم "أوستين" الأفعال الانجازية إلى ابتدائية وصريحة على اعتبار أن الابتدائية لا يتم التصريح فيها بالفعل المنجز نحو "السعادة مطلب " أطلب نيل السعادة، والملفوظات

---

[22]- علي محمود حجي الصراف: في البراجماتية (الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي)، مكتبة الآداب، القاهرة، جمهورية مصر العربية،1431هـ،2010 م، ص202.

[23]- يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، قسنطينة، الجزائر، 2005-2006م، ص 125.

[24] - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1،2004 م، ص75.

[25] - جيوفري ليتش:مبادئ التداولية، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،2013، ص260.

الانجازية التصريحية هي التي تتحدد في تلك الأفعال التي هي مفاتيح الإنشاء نحو أراهن ،أعدك،أقبل"[26]. ويتفرع الفعل الانجازي في ضوء قياس القوة الانجازية التي تصاحب الأداء الفعلي للكلام إلى أصناف عدة وهي[27]:

- الأحكام (verdictive) ← قرار قضائي محاكمة...
- القرارات (executive) ← الإذن، التعيين، الحرمان...
- التعهد (comissive) ← الوعد، الضمان، التعاقد...
- السلوك (Behabitive) ←اعتذار، شكر، مواساة...
- الإيضاح (Expositive) ← الاعتراض، تشكيك، إنكار، موافقة، تخطئة...

تطور النظرية الانجازية مع سيرل (J.Searl):

ساهم "سيرل" في تطوير المفاهيم التي جاء بها "أوستين" وأضاف للفعل الانجازي باعتباره الوحدة الصغرى في الاتصال والتحليل اللساني مفهوم القوة الانجازية وإبراز دليلها المتمثل في نظام بناء الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم وصيغة الفعل والأفعال الأدائية، وكذلك أعاد "سيرل" صياغة شروط الملاءمة التي حددها "أوستين" وجعلها أربعة شروط هي[28]:

1) **شرط المحتوى القوي (Contenue propositionnelle):**فللكلام معنى قضوي يقوم على مرجع ومتحدث به (خبر) أي هو المعنى الحرفي الأصلي للجملة.

2) **الشروط التمهيدية (Préparatoire):** يتحقق هذا الشرط من خلال قدرة الفرد عل إنجاز الفعل لحظة الفعل.

3) **شرط الإخلاص (Sinceritive):** إخلاص الفاعل في قدرته على الانجاز.

4) الشرط الأساسي (Essentielle): محاولة المتكلم إنجاز الفعل التأثيري.

---

[26]- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب،2001، ص ص79 - 80.

[27] - خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي، الأصول والاتجاهات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومكتبة ط1، بيروت، لبنان 1433 هـ-2012م، ص 187.

[28] - خالد خليل هويدي: المرجع نفسه، ص 188 .

وأفاد سيرل –أيضا- من تقسيم أوستين للفعل الانجازي فجعله خمسة أنواع وهي[29]:

- **التوجيهات (Directives)**← الأمر النصح، الاستعطاف، التشجيع، الطلب بأنواعه.
- **الإخباريات (Assertives)**← الوصف، تقرير الواقعة كما هي (صدق/كذب)...
- **التزامات (Commissives)** ← الوعد، الوصية.
- **التعبيريات (Expressives)** ← الشكر، التهنئة، الاعتذار، المواساة.
- **الاعلانيات (Déclaratives)** ← إعلان، حرب، هدنة...

ونشير أيضا إلى أن "سيرل" قد ميز داخل الجملة بين الفعل القضية أو الفعل القضوي، وهو الحمولة الدلالية المباشرة التي تحملها الجملة، وهو مستقى من المعجم، وهو معادل لمفهوم فعل القول لدى أوستين، وما يتصل بفعل القوة أو قوة مقصودة بالفعل، وعلى هذا الأساس صنف "سيرل" الانجازات اللغوية إلى صنفين هما:

أ) الانجازات البسيطة: وهي التي تواكب محتواها القضوي قوة إنجازيه واحدة، أي يكون قصد المتكلم مساويا للمعنى الحرفي للجملة.

ب) الانجازات المعقدة: وهي تلك الانجازات التي يقصد المتكلم بها إنجاز جملة تواكبها قوتان انجازيتان على الأقل، قوة إنجازيه حرفية، وقوة إنجازيه مستلزمة مقاميا، ومن خلالها ميز "سيرل" بين الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر[30].

ويؤكد "جون ليونز" (J.Lyons) على أنه "لا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي"[31].

فتكلم اللغة أو كتابتها والتحدث بها يعني تحقيق أفعال لغوية، والتي أصبحت محط اهتمام الدراسات اللسانية النصية، ونجد الأفعال التداولية كإعطاء الأوامر، أو الأخبار أو التأكيد... تركز على النصوص باعتبارها أفعالا لغوية كالوعود والتهديدات والاستفهامات والطلبات والأوامر.

وقد اهتمت الدراسات التداولية بالأفعال اللغوية في ارتباطها بالمقاصد والنوايا في الخطاب، والتي تختلف باختلاف السياق، لأن القصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي كما

[29] - خالد خليل هويدي: المرجع نفسه، ص 189.
[30] - يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص.ص 144-155.
[31] - خالد خليل هويدي: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي، الأصول والاتجاهات، ص 189.

يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الرسالة الموجهة إليه، وبذلك يصبح القصد – الذي سبقت الإشارة إليه- شرط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى. والبحث عن مثل هذه الشروط يعد من "الوظائف الأساسية التداولية التي تتجاوز ذلك أيضا إلى البحث في المميزات المطلوبة في الجمل حتى نتمكن من استعمالها كأفعال لغوية "[32].

2) **السياق:** للسياق أهمية كبيرة في الدرس اللغوي التداولي ،حيث عرفت التداولية على أساسه فقيل هي :"دراسة الاتصال اللغوي في السياق"[33]، فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة.

أنواع السياق:

- **السياق اللغوي (اللفظي):** ونعني به السياق اللفظي، وهو سلسلة الألفاظ المنطوقة أو المكتوبة المؤلفة من جمل ،تتألف بدورها من كلمات، وفي السياق اللغوي يظهر تعاقب الكلمات واحدة بعد الأخرى ،وتتحدد طبيعة العلاقات بين الكلمات في التركيب[34]، أي السياق هو "مجموعة العبارات المنتجة في موقف تواصلي معين باعتبار أن عملية التواصل لا تتم بواسطة جمل، بل بواسطة نص متكامل في غالب الأحوال"[35]، ويعرف أيضا ب"النص المساعد"الذي يعرف بأنه مجموعة الكلمات الأخرى المستعملة في نفس العبارة أو الجملة ، ولهذا النص المساعد الذي يحيط بالكلام تأثير قوي على تفكيرنا في معنى الكلمة[36].

وتندرج ضمن السياق اللغوي: الأصوات، الصيغ الصرفية،المقاطع ذات النغمة المنبورة، السلاسل الإيقاعية فوق المقطعية، القواعد التركيبية .

---

[32] - خالد خليل هويدي: المرجع نفسه، ص 190.

[33] - أحمد مختار عمر:علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، جمهورية مصرا لعربية، 1988م، ص68.

[34] - صالح بلعيد التراكيب اللغوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، دط، دت، ص108.

[35] - أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، ط1، الرباط،المغرب،2006م، ص22.

[36] - جورج يول:معرفة اللغة، تر:محمود قراج عبد الحفيظ ،در الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص136.

- **السياق غير اللغوي (المقامي)** : هو الذي يحدد" البواعث الاجتماعية المؤطرة لاستعمال الحواري ،وهو سياق خارجي لساني تساهم فيه أطراف الحوار مساهمة توازي المناسبات الاجتماعية والثقافية والسياسية للقول الحواري"[37].

ويتطلب تحديد المعنى وفق السياق غير اللغوي معرفة ما يلي:

- المكان الذي تتم فيه عملية الكلام
- الزمن
- الأشخاص المشاركون في الكلام(المتكلم والمخاطب) ومراعاة مستواهم الثقافي والمهني و...
- وظيفة الخطاب والغاية منه.

ومعرفة السامع وحدها بالإشارة اللغوية، وعلاقة الدال بالمدلول، أو التعبير بالمضمون لا تكفي لتحديد المعنى، وإنما الذي يساعد على تحديده، فضلا عن السياق اللفظي هو العرف الاجتماعي[38]، فمعرفة معنى العبارة يتطلب ربط السياق اللغوي بالسياق غير اللغوي.

عناصر السياق:

- **المرسل:** يمثل الذات المحورية في الخطاب ،فالمتكلم ينبغي معرفته "هل هو ذكر أم أنثى ؟صغير أم كبير ؟ وما هو جنسه ودينه وشكله الخارجي ونبرة صوته ...
- **المرسل إليه:** يمثل المتلقي الذي يوجه إليه الملقي خطابه.

وما قلناه عن المتكلم أو الملقي ينطبق على المتلقي، فالمتلقي حاضر في ذهن الملقي عند إنتاج الخطاب.

- **العناصر المشتركة:** لا يتوقف الأمر على دور كل من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الأخر، ومعزل عن محيطهما، فهناك علاقة بينهما، والمعرفة المشتركة،

---

[37] - محمد نظيف:الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2010م، ص 41.

[38] - إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، الأردن ،1427 هـ-2007م، ص .ص29-30.

وموضوع الكلام، وفي أي جو يقال؟، وفي أي مكان وأي زمان؟ وكيف يقال، وما الداعي لقوله وغير ذلك من العناصر الكثيرة التي تؤثر على كيفية قولا لكلام وعلى تركيبه وعلى معانيه وعلى الغرض من قوله[39]، وذلك حتى يتمكن طرفا الخطاب من تحقيق الفهم والإفهام والإقناع والاقتناع في إطار العملية التواصلية.

وفي الأخير نخلص إلى أن التداولية استطاعت أن تفتح آفاقا جديدة في دراسة اللغة و التي نقلتها من شكلها الصوري المجرد إلى شكل أخر أعاد لها الحياة من خلال الاستعمال الفعلي، كما اهتمت التداولية بالمتكلم باعتباره مركز التفاعل في العملية التبليغية، وركزت على العمليات الذهنية التي يقوم بها المتكلم في تأدية الخطاب والمخاطب في تأويله، وبالوضعية التواصلية التي يختلف فيها السياق وتتعدد فيها دلالات الأقوال و كيفيات التأثير ومقاصد المتكلم.

وستظل جهود كل من "أوستين" و"سيرل " تؤثر في الدرس اللساني التداولي والنظريات اللسانية المختلفة التي جاءت بعدهم كنظرية النحو الوظيفي التي استفادت من كل المعطيات التي جاءت بها تداولية.

3) **المقاصد:** إن المقاصد من أهم المفاهيم التداولية، فالمتكلم لا يتكلم مع غيره "إلا إذا كان لكلامه قصد، وهذا القصد محدد عند المتكلم وثابت لا يتغير، وهو لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد، ولكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية[40].

ويرى "جرايس" أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، فيما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، فالسامع قادر على أن يصل إلى هدف المتكلم استنادا إلى أعراف الاستعمال، فنشأت عنده فكرة الاستلزام الذي ينقسم إلى قسمين:

أ)استلزام عرفي: وهو قائم على ما يتعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات معينة مهما اختلف السياقات وتغيرت التراكيب.

---

[39]- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، ط1، الكويت، 1978 م، ص100.

[40] - محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 89.

ب)استلزام حواري: وهو يتغير بتغير السياق الوارد فيه فالمعنى لا يستقى من البنية وحدها، بل من الجانب السياقي أيضا، وهذا ما كان يشغل "جرايس"، فكيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وقد وجد حلا لهذا الإشكال فيما أسماه بمبدأ "التعاون" بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حواري عام يشتمل على أربعة مبادئ هي:

- مبدأ الكم (quantity)
- مبدأ الكيف (quality)
- مبدأ المناسبة (Relevance)
- مبدأ الطريقة (Manner)[41].

تستهدف هذه القواعد –من وجهة نظر جرايس- مبتغى واحدا يتمثل في ضبط الحوار بحيث يؤكد على أن احترام هذه القواعد هو السبيل الكفيل الذي يجعلنا نبلغ مقاصدنا .

ثانيا: أغراض الاستفهام التداولية في ديوان "دخان اليأس" لمبارك جلواح :

يرتبط مفهوم الاستفهام بواقع استعمال اللغة، لأنه غني بالقيم التداولية[42]، فهو طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن[43] . ويمثل الاستفهام فعلا كلاميا تداوليا يتكون من قوة انجازية حرفية تتضمن الاستفهام الحقيقي، وقد تكون القوة الانجازية مستلزمة دالة على أغراض إضافية وهو ما نلاحظه في ديوان "دخان اليأس " لمبارك جلواح الذي برز فيه الاستفهام بشكل قوي، ويمكن أن نوضحه كما يلي:

1_ **الاستفهام قوة انجازية حرفية**: وأمثلته في الديوان كثيرة منها:

- ✓ **الاستفهام لطلب التصديق:** نحو قول جلواح في قصيدة "أيا والدي":

وهل يؤنس الابن إلا أب رحيم يراعي حقوق الرحم[44].

---

[41] - محمد أحمد نحلة: المرجع نفسه، ص33.

[42] - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 164.

[43]- محمود أحمد الصغير: الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر المعاصر،2001، ص 634.

[44]- عبد المنعم تليمة وسيد البحراوي، جمهورية مصر العربية، دت، ص 329. رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، إشراف

الاستفهام ب"هل" معناه" طلب التصديق الايجابي، دون التصور، ودون التصديق السلبي"[45] فلما كان الاستفهام طلبا للتصديق فلا بد له من جواب، وجملة الجواب في هذا المثال جاءت مصدرة بالاستثناء .ترتبط وجهة الانجاز في هذا البيت الشعري بحالة المتكلم الشاعر الذي يتساءل عمن يؤنسه فأجاب بأن والده هو الوحيد القادر على ذلك لأنه رحيم به، وبذلك حملت عبارة الاستفهام قضية حجاجية تدعو السامع إلى الوقوف على أوجه الاستدلالات التي تتضمنها، فالشاعر يحاجج نفسه بنفسه، وهو يعبر للمتلقي عن شعور يتملكه.

وقوله :

أيا وطني بالله مالك ناكـــــري ألم أك من أبنائك الســروات؟
ألم أك شحرورا بمجدك صادحا على دوحك العلوي والسرحات [46].

الاستفهام بالهمزة معناه السؤال لطلب التصور من جهة، وطلب التصديق من جهة أخرى[47]. فجاءت الهمزة في البيتين الشعريين لتصديق الخبر، فالشاعر جلواح يطلب من وطنه عدم إقصائه لأنه من أبنائه المخلصين، وهو طلب من غير العاقل.

حملت عبارة الاستفهام الإنكاري قوة انجازية تعبر عن موقف الشاعر تجاه وطنه، وهو لا يعرض هذا الموقف بشكل صريح إلى المتلقي، وإنما يلجأ إلى الحجة المقنعة ليصل إلى المقصود.

- ✓ **الاستفهام لطلب التصديق والعدد:** نحو قول الشاعر :

هل تحت ظلك يا علـم إلا الكآبة والألـــم
كم حين تنشر في الورى تطوي المعاطب من أمم [48].

وقوله أيضا في قصيدته "ياقلبي" :

فكم أيدي رجوناها فكانت قنا المأمون في صدر الأميـــن
وكم بر بذرنـاه زمانـــــا فلم نحصد سوى المقت اللعين[49]

[45]- ابن هشام(أبو محمد عبد الله الأنصاري): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، ط2، ج2، 1969، ص 386.
[46] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد ،ص205.
[47] - ابن هشام(أبو محمد عبد الله الأنصاري): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ص 5_7.
[48] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 273.
[49]- رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 316.

يستخدم جلواح الاستفهام بكم التي تفيد" السؤال عن العدد"[50]بكثرة في ديوانه وهو قوة انجازية تعبر عن حيرته وقلقه وكآبته المستمرة.

✓ **الاستفهام عن المكان:** نحو قوله في قصيدة "ذكرى نادي التهذيب":

غريب الديار وراء البحار فلا من قريب ولا من صحب
فأين الفضيل وأين السعيد وأين السنوسي الخطب العجب
وأين التبسي وابن عتيق وأين يعيش الهزار الطـــرب
فأين يعيش يعيش الفنون وأين يعيش يعيـــش الأدب
فأين الرفيق الجليس اللطيف وأين الصديق الأنيس الأرب
فأين الشيوخ وأين الشباب وأين الوفود وأين العصـــب
وأين البرابرة الفضـــلاء وأين الأعاجم أين العــرب
أين المشارقة النبـــــلاء فحول النبوغ الجليل و الحسب
وأين المغاربة البســـلاء ليوث العوالي أسد العصب
فأين أناسي وأهلي لتبكي إذا غار نجمي أو تنتـــحب
وأين الصحاب وأين البنون وأين بياني وأين الكتـــب[51].

الاستفهام ب (أين) سؤال عن المكان، إذا قيل أين زيد؟ فجوابه: في الدار، أو في المسجد أو في السوق[52].

ونلاحظ أن في ديوان "دخان اليأس" يكثر استخدام القوة الانجازية الحرفية الاستفهام ب"أين" فيتكرر في القصيدة الواحدة بقوة متتالية فيعطي لها حركة نشيطة ويجعل معناها أكثر تماسكا، وهو تأكيد الشاعر على البحث عن مكان رفاقه ليمتد هذا البحث إلى كل الأقوام و الأهل لأنه أصبح وحيدا في ديار الغربة (فرنسا) فلا قريب يواسيه.

2_ **الاستفهام قوة انجازية مستلزمة**: وأمثلته في الديوان كثيرة منها:

✓ **الاستفهام للتقرير:** كقول جلواح في قصيدته " نظرة في الحياة":

وهل تصحب الدنيا من الناس صاحبا إذ ا هو لم يدرس لديه زبورها

[50] - ابن هشام (أبو محمد عبد الله الأنصاري): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 200.
[51] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص321.
[52] - السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن الغالي): مفتاح العلوم، كتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط2، (1408هـ/ 1987م)، ص 313.

وهل بعد أيام الشبيبة منيـــــة يحبب في ظل البقا ظهورها
وهل تنعم الدنيا بطـول بقائهـــا إذ لم يغل فيها الشعوب دثورها[53].

يستهل جلواح هذه الأبيات الشعرية بأداة الاستفهام" هل"، وهذا التكرار الاستفهامي الكثيف هو نوع من التأكيد و الإلحاح على توصيل المعنى ، فمن خلال هذه التساؤلات يحمل الاستفهام قوة انجازية مستلزمة هي تقرير الحقائق بالإضافة إلى إعطاء الحكم في الحياة.

- ✓ **الاستفهام للتعجب:** كقوله:

عجبا كيف تحمل هجري بعدما كان من هيام وتيم[54].

وقوله أيضا:

كيف يصبو إلى العلا قلب من لم يألف السير في ظلال الدرفس[55].

الاستفهام ب(كيف) "للسؤال عن الحال، إذا قيل: كيف زيد؟ فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ"[56]، وقد تساءل جلواح بهذه الأداة عن حالة حبيبته التي يتعجب من أمر تحملها هجره ، كما يتساءل عن أمر الذي يريد العلا دون تعب، فخرجت القوة الانجازية للاستفهام عن المعنى الحقيقي واستلزمت قوة إضافية تدعم المعنى وهي التعجب.

- ✓ **الاستفهام ل (اللوم):** كقوله:

أين الجناح الذي تطوي الفضاء به بين الخمائل من ظل ومن بان
وأين ما كان من شدو تجيب بـه عزف النسيم على أوراق أفنان
أين العهود التي كنت تقطعهـــا ما بين تربيك مرتاح الحشا هاني
وأين ما كان من سرب تسايـــره بين الجداول في لطف وإحسان[57]

هذه التساؤلات التي تحمل قوة انجازية مستلزمة هي اللوم الموجه للطائر الصغير الذي وجده الشاعر مرميا على الأرض، لكنه يقصد نفسه لأن حالته تشبه حالة هذا البلبل، ويصبح اللوم هنا قوة لحث العزائم.

---

[53]- رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد،ص 211.
[54] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص294.
[55] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد ،ص 286.
[56] - السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن الغالي): مفتاح العلوم، ص313 .
[57]- رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص250.

✓ **الاستفهام للتفجع والتحسر:** كقوله:

تفجع الشاعر على فقد والده كقوله في قصيدته "أيا والدي":

دهاك الردى ورمى بي الجنون بدار الأهاوس بين الشجون

فكيف وقد ذقت كأس المنون أيا والـــدي، أيا والـــدي[58].

ويتحسر الشاعر على شهيد فلسطين الذي لا يعود فقد طواه التاريخ، حيث يقول في قصيدته "إلى روح شهيد فلسطين":

ما بال دمعك ينهمـــر يا أيـها الشرق الأبـــر؟

هاجتك ذكرى ما مضى من عهد مجدك ذي الخطر؟

أم عال حبرك طول ما قد نال صفوك من كـدر؟[59].

يطيل الشاعر في هذه القصيدة توظيف الاستفهام الذي يستلزم قوة إضافية هي التحسر، فوصف ألام الشرق بعد أن فقد بطلا من أبطاله وهو ينظر إلى الشعب الفلسطيني بوصفه عربيا مشرقيا، لذلك فإنه يخاطب الشرق ويكفكف دمعه، مع حسرته الكبيرة على الوضع الذي آل إليه الشرق.

✓ **الاستفهام للتمجيد في القصائد السياسية :** كقوله في قصيدة" أنا عربي":

فكم سبحت الأمواج باسم شراعنا وذلت له الهوجاء في السبح والعـــس

وكم ردد الأطواد باسـم لوائنـــا صدى الحمد والتمجيد في أذن الشمس[60].

ورد الاستفهام لغرض التمجيد في إطار الحديث عن القومية العربية والفخر بالمكاسب الجماعية .

✓ **الاستفهام للحيرة الماورائية:**

جاءت القوة الانجازية المستلزمة في ديوان "دخان اليأس" للتعبير عن الحيرة الماورائية خاصة في القصائد التي تتضمن تأملات الشاعر في الموت وفي تقلبات الحياة ، ومن أمثلة ذلك قوله مخاطبا أحد الموتى:

وقل كيف طعم الموت ماذا وجدته أمامك في ظلماء ذي الحفرات

وهل فيهم من ينسون صحابهـــم ويرجون جمع الشمل بعد شتات[61].

---

[58] -رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 326.

[59] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 261.

[60] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 205.

يتساءل جلواح عن القبر لأنه يخاف من الشقاء داخله، لأن حياته كلها كانت أسى وشقاء، وهذه الحيرة الكبيرة التي تملأ حياته، عبر عنها بالاستفهام في أغلب قصائده، فراح يتساءل حتى عن سبب وجوده في الحياة وخاصة في قصيدته "لماذا خلقت" التي يقول فيها:

لماذا خلقت لمـاذا أعـــود ترابا كما كنت تحت اللحـود؟
فماذا جنيت أين جنيــت وهل كنت شيئا بماضي العهود؟
إلهي ظللت الرشاد لمـــاذا خلقت وأين تراني أعـــــود؟[62] .

يفتتح جلواح هذه القصيدة بتساؤله عن سبب وجوده في الحياة ثم تتوالى تساؤلاته العميقة التي تشكل لغزا محيرا في حياته، وتنبئ عن نفسيته المضطربة و شكه الدائم رغم إسلامه وحفظه للقرآن الكريم، وهذا يعكس حجم المأساة الكبيرة التي يعاني منها .

خاتمة البحث:

عني الدرس التداولي بالتفاعل القائم بين اللغة والاستعمال، فاهتم بدراسة وتحليل عمليات الكلام والوظائف التي تنتج عنها، والتي تؤول إلى الوظيفة التبليغية للغة، فتبرز العلاقات القائمة بين الملقي والمتلقي والسياق.

[61]- رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 207.
[62] - رابح دوب: مبارك جلواح بين الإحياء والتجديد، ص 32.